اختيار المصطلح القرآني وأثره في صياغة النظرية القرآنية

دراسة في المفهوم والمنهج

Choosing the Qur'anic term and its effect on formulating the Qur'anic theory A study in concept and method

الدكتور/ محي الدين بن عمار

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة 01

mohieddinebenammar28@gmail.com

تاريخ الارسال27 / 08 / 2020.	تاريخ القبول29 / 10 / 2020.	تاريخ النشر15 / 12 / 2020.

الملخص

يعالج هذا البحث حقيقة اختيار المصطلح القرآني في الدراسات المعاصرة؛ من حيث بنيته ومفهومه وسماته العلمية في كيفية انتقائه من القرآن الكريم ،ثم في طريقة استعماله واعتماده في الدراسات الموضوعية الكاشفة للنظرية القرآنية لقضايا البشرية ومشكلاتها تأصيلا وعلاجا؛ من حيث المنهجية المختارة في كيفية استخراجه من نصوص القرآن الكريم، ثم أثر هذا الاختيار في إبراز دقة التعبير القرآني وإعجازه؛ من حيث تحقيق الوحدة الموضوعية للمصطلح، واستنباط نظرية القرآن في معالجة أبعاده الواقعية المعاصرة

Abstract

This research deals with the fact that the Quranic term has been chosen in contemporary studies. In terms of its structure, concept, and scientific features, in how it was selected from the Noble Qur'an, and then in the way it was used and adopted in objective studies revealing the Qur'anic theory of human issues and their problems as root and treatment. In terms of the methodology chosen in how it is extracted from the texts of the Holy Qur'an, then the effect of this choice on highlighting the accuracy and miraculousness of the Qur'an expression. In terms of achieving the objective unity of the term, and devising the theory of the Qur'an in

المنارة للاستشارات

dealing with its contemporary realistic dimensions		
Keywords :Quranic term. Quranic theory. Thematic unity. Contemporary Studies. Concept and method of selection		**كلمات مفتاحية:** المصطلح القرآني، النظرية القرآنية، الوحدة الموضوعية، الدراسات المعاصرة، المفهوم ومنهج الاختيار

المؤلف المرسل: محي الدين بن عمار، **الإيميل**: mohieddinebenammar28@gmail.com

1.مقدمة:

تولي جميع الدراسات المعاصرة ـ أدبية كانت أم هدائية تفسيرية ـ أهمية بالغة ـ في إطار علم المصطلح ـ لاختيار المصطلحات من القرآن الكريم في إثراء البحوث العلمية المتعلقة بقضايا اللغة والإنسان والمجتمع المتعددة، وذلك قصد استخراج نظريات قرآنية ناجعة بشأنها ـ نظريا وعمليا ـ، غير أنه قد طرحت إشكاليات تتعلق بحقيقة المصطلح القرآني المراد انتقاؤه، واستيعابه للمفهوم المعاصر للمصطلح العلمي لغة ودلالة، ووفاؤه بالنظرية القرآنية للموضوع المعالج؛ من حيث الاقتصار على بنية المصطلح حسب مواضعه في القرآن الكريم وفق ما نادت به المدرسة الأدبية ؟ أم أنه لابد من توسيع دائرة الاختيار إلى جميع المصطلحات المقاربة أو المناقضة لذلك المصطلح، حتى تتضح به معالم النظرية القرآنية والوحدة الموضوعية لأبعاد الموضوع المعالج وفق ما نادت به المدرسة الهدائية التفسيرية المعاصرة؟ بتعبير آخر: هل يكفي اختيار مصطلح قرآني واحد ـ في جميع مواضعه من القرآن ـ لصياغة النظرية القرآنية وضبط الوحدة الموضوعية؟ أم أن ذلك خاص بالدراسة الأدبية المعجمية للمصطلحات القرآنية في كشف النظرية اللغوية؟ دون النظرية الهدائية للقرآن التي تتطلب كشف جميع المصطلحات المتعلقة بالموضوع المعالج؟ وهل هناك منهجية متكاملة في الدراسات المعاصرة لكيفية انتقاء المصطلح القرآني وصياغة النظرية القرآنية؟

المنارة للاستشارات

وبالتالي يهدف هذا البحث إلى تحديد المفهوم الصحيح لاختيار المصطلح، وكشف المنهجية المتكاملة من ذلك في صياغة النظرية القرآنية

2. حقيقة المصطلح القرآني بين النفي والإثبات في الدراسات المعاصرة.

اختلفت أنظار الدارسين المعاصرين حول وجود المصطلح القرآني كقسم رئيسي من أقسام التفسير الموضوعي؛ حيث يمكن تقسيمها إلى موقفين متباينين:

1.2 المصطلح القرآني ليس من أقسام التفسير الموضوعي.

ولعل هذا القول يمثل رأي أغلب المنظرين المعاصرين للتفسير الموضوعي؛ سواء ممن لم يذكره ولم يشر إليه؛ حينما جنح إلى تقسيم التفسير الموضوعي إلى قسمين رئيسيين: الموضوع والسورة، كما فعل أحمد السيد الكومي[1]،وعبد الحي الفرماوي[2]، وعبد الجليل عبد الرحيم[3]، وأحمد جمال العمري[4]وأحمد رحماني[5]، وهو صنيع مُحَمَّد الغزالي في مقدمة تفسيره[6]أو في مؤلفاته الأخرى[7]،أو كان ممن اعتبره قسما واحدا فقط، كحال عبد الستار فتح الله سعيد؛ الذي نفى أن يتحقق التفسير الموضوعي إلا فيما أسماه "التفسير الموضوعي الخاص"[8]، ونفى الباقي حينما قال: «... وكذلك يتجنب المفسر الكتابة تحت هذا العنوان فيما يسمى "بالنظام في القرآن" أو الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم، أو التفسير الموضوعي بمعناه العام كالنسخ في القرآن أو علم المناسبات؛ لأن هذه الجوانب مع جلالتها وأهميتها، لكنها خارجة عن "مصطلح التفسير الموضوعي " معناه الجديد المقيد بمعناه الخاص...». [9]

ولم يجنح أكثرهم إلى التعليل في ذلك، إلا ما ورد من إشارات محتشمة عند عبد الستار فتح الله سعيد؛ والذي اشترط فيه قيام رابطته على "وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده" [10]؛ لأنه «كلما زادت القيود قلت الأفراد، وازداد التخصص في إطار عكسي». [11]

ومما يستأنس بآرائه أيضا في هذه المسألة، اشتراطه في إحدى خطوات البحث في التفسير الموضوعي (اختيار العنوان)، أن يختار أجمع الألفاظ القرآنية الدالة على موضوعها، بحيث يجمع «الألفاظ المقاربة لمعناه، ثم الألفاظ المقابلة للمعاني السابقة؛ لأن كل حكم يتقرر في النقائض والأضداد سلبا وإيجابا». [12]

المنارة للاستشارات

وأذكر أن عبد الحي الفرماوي أكد بأن المصطلحات القرآنية تندرج ضمن «الأشباه والنظائر»، وهو إن كان من علوم القرآن الكريم، لكنه لا يعد ضربا من التفسير الموضوعي؛ بل هو أقرب إلى التفسير اللغوي العام.[13]

ويعد زياد خليل الدغامين أهم من ناقش هذه المسألة، واعترض على أقوال المجوزين له؛ خاصة ممن أسماهم بـ «المدرسة الأدبية»[14]؛ والتي اهتمت بدراسة المفردات القرآنية وجمالياتها الإعجازية[15]، واعتبرت أن هذه الدراسات ضربا من التفسير الموضوعي، هذا ما دفع الدغامين أن يرد عليهم بالأدلة التالية:

«أولا: أن البحث عن مفردة قرآنية واستخداماتها في القرآن لا يتأتى لجميع مفردات القرآن، ... فهناك كثير من المفردات لم تذكر إلا مرة واحدة في القرآن كله، مثل كلمة مسخ، وكلمة مسد، وكلمة أمشاج...

ثانيا: المقصود من البحث عن لفظة واستخداماتها في القرآن هو التعرف بجلاء على المعاني الدقيقة لمفردات القرآن من خلال الاستعمال القرآني لها.

ثالثا: إن هذا التعريف –وإن كانت صورتة قريبة من التفسير الموضوعي–، إلا أنه يختلف عنه من حيث الغاية والهدف ومنهجية البحث.

رابعا: إن ذلك سيقودنا إلى تجزيئية في التفسير الموضوعي؛ تجزيئية لا تعطي تصورا شموليا عن موضوعات القرآن الكريم»[16]، فليس الأهم في التفسير الموضوعي جمع آيات المفردة القرآنية؛ وإنما يتجاوزه إلى ملاحظة النظرة الشمولية، والوحدة الموضوعية، وهما اللتان غابتا في منهج المدرسة الأدبية في دراسة المفردات القرآنية حسب تعبير الدغامين.[17]

كما نفى –من جهة أخرى– أن يكون صنيع نبت الشاطئ في تفسيرها «التفسير البياني للقرآن» ضربا من التفسير الموضوعي؛ معللا ذلك بقوله: «فنحن مع تفسير تقليدي للسور ذات الموضوع الواحد، لا تجمع فيه الأستاذة ما يتعرض لهذا الموضوع، ويدور حوله من القرآن؛ وإنما تجمع ما يتصل بألفاظ الآية

المنارة للاستشارات

والسورة من جميع القرآن على نحو اشتقاقي، تهتدي من خلاله _وبمعاونة سياق الآية_ إلى المعنى البياني والأدبي لهذا اللفظ...». (18)

ولا تخلو هذه النظرة من تعسف وشطط في التحليل والتعليل معا؛ فلا تقتصر دراسة المفردة القرآنية على استخراج دلالاتها المعجمية في إطار اشتقاقي بحت؛ بل يتعدى ذلك إلى اكتشاف الوحدة العامة للمفردة، وإلى دراستها دراسة شمولية لكل معانيها السياقية؛ صحيح أنها لا تخلو مما أسماه الدغامين بالنظرة التجزيئية، ولكنها مختصة باكتشاف الدلالات الهدائية لموارد هذه المفردة الاشتقاقية، وهذا قدر كاف للتفسير الموضوعي، خاصة فيما أسماه عبد الستار فتح الله سعيد بـ "التفسير الموضوعي الوسيط". (19)

2.2 المصطلح القرآني قسم من أقسام التفسير الموضوعي.

وهو رأي لبعض الدارسين المعاصرين، يتقدمهم أصحاب المدرسة الأدبية المعاصرة التي يتزعمها أمين الخولي وعائشة عبد الرحمان (20)، وانتصر له الكثيرون، كمصطفى مسلم (21)، وعبد السلام حمدان اللوح(22)،وعباس عوض الله عباس(23)، وصلاح عبد الفتاح الخالدي(24)

هذا الأخير الذي فصل الحديث عن المصطلح القرآني، سواء من الناحية النظرية التأصيلية ؛في تعريفه ورسم حدوده(25)، وفي وضع الخطوات المرحلية المنهجية للبحث في المصطلحات القرآنية؛ مراحل بحثية وجمعية أو مراحل ترتيب وصياغة (26)، أو كان حديثه عنه من خلال النماذج التطبيقية التي قدمها لنا كمثال يؤكد حجم هذا اللون كنوع من أنواع التفسير الموضوعي. (27)

فليس مفهوم المصطلح القرآني فقط، ملاحظة اشتقاقاته وتصاريفه اللغوية المختلفة فقط، دون استقصاء وشمول على حسب تعبير الدغامين (28)؛ بل إنه يسعى لاستخراج الدلالات والحقائق له، بعد ربط آياته المجمعة بالواقع وملاحظة الوحدة الموضوعية المختصة به. (29)

وقد لاحظ الخالدي أن التأليف في هذا الإطار قديم النشأة، وما وضعه الراغب الأصفهاني في مفرداته، والدامغاني في وجوهه ونظائره، والسمين الحلبي في عمدته إلا لبنات أولية لهذا اللون، متابعا في ذلك صنيع مصطفى مسلم (30)، وليست نماذج مستقلة تتسم بالدقة والشمول كما قال الدغامين (31)، وقد بيّن

المنارة للاستشارات

الخالدي أيضا أن هناك فرقا بين المصطلح وبين الموضوع القرآني من خلال البحث في هذا النوع الأخير «أعم وأشمل من الأول، وميدانه في البحث أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر، ومعالجته الواقعية كحاجات ومشكلات أمته من خلاله أوضح».[32]

و لعل هذه النظرة أرجح لوضوحها وقوة أدلتها وتوفر نماذجها التطبيقية، لكن لا تعمم على كل المفردات القرآنية خاصة تلك التي وردت مرة أو مرات قليلة في القرآن الكريم.

3. منهجية البحث في المصطلح القرآني ودورها في صياغة النظرية القرآنية.

لم يكن مصطفى مسلم دقيقا في تصور الخطوات المرحلية في بحث المصطلح القرآني؛ بل الظاهر عليه أنه خلط بينها وبين منهجية البحث في الموضوع القرآني [33]، مما يوحى بأنه وحد بينهما في المنهجية والخطوات، وإن كان فرق بينهما في المصطلح والمفهوم.

وعلى العكس من ذلك كان صلاح الخالدي دقيقا في تصور خطواته، واضحا في تحديد منهجية البحث فيه؛ حيث جعل هذه الخطوات في مرحلتين: مرحلة البحث والجمع، ومرحلة الترتيب والتبويب والصياغة، «ولكل مرحلة خطواتها الفرعية المتدرجة» كما قال [34]، ولعلها لا توجد عند غيره، ولم يسبق إليها —حسب علمنا-.

وسنقتصر على سرد خطوات المرحلة الأولى عنده —إيجازا- دون الثانية؛ لأن هذه الأخيرة تتعلق أكثر بالجانب الفني والجمالي والمنهجي العلمي في إخراج البحوث في صورتها النهائية، وأما عن خطوات المرحلة الأولى فأهمها:

1 - اختيار المصطلح القرآني المراد بحثه بعد تحديد أسباب الاختيار كموضوع "الجهاد في القرآن".

2 - تحديد الجذر الثلاثي للكلمة: ك "جهد" بالنسبة "للجهاد".

3 - أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمهات كتب اللغة والمعاجم، كمعجم ابن فارس، ومفردات الراغب الأصفهاني، وعمدة الحفاظ للحلبي، والكليات للكفوي وغيرها.

المنارة للاستشارات

4 – متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته في القرآن الكريم، والاستعانة في ذلك بالمعاجم المتخصصة، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي وغيره، ومن خلاله يقول الباحث بعملية إحصائية شاملة لورود الجذر الثلاثي للمصطلح الذي يبحثه على اختلاف اشتقاقاته وتصريفاته.

5 – ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني، فلا بد للباحث أن يبين توقر معنى "جهد" الأصلي في الألفاظ القرآنية المشتقة منه، وهي الجهاد و"المجاهدة" والجُهد و الجَهدْ.

6 – ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وملاحظة التناسق والانسجام في ذلك.

7 – ترتيب الآيات التي أوردت المصطلح القرآني على حسب النزول، ولو بالصورة العامة، وملاحظة تطور معنى المصطلح، والإضافات عليه في الآيات المتأخرة، وملاحظة النسخ، وأسباب النزول، والقراءات الصحيحة.

8 – الاطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح في أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور، وسيد قطب، ثم يجمع منها ما ورد فيها من أحاديث وأقوال مأثورة للصحابة والتابعين ومشاهير المفسرين.

9 – ملاحظة الإيحاءات والأبعاد الواقعية للمصطلح القرآني المبحوث، ومدى علاجها للمشكلات الاجتماعية والتربوية.

10. الوقفة المتأنية أمام آيات المصطلح الواردة في القرآن واستخلاص الدروس والعبر منها[35]

إن هذا التحديد الدقيق للخطوات المرحلية النظرية المتبعة في بحث المصطلحات القرآنية، ثم ببعض تطبيقاتها في مؤلفات بعض المعاصرين، كمصطلح الأمة في القرآن لأحمد حسن فرحات، والجهل والجاهلون لصلاح الخالدي، يفند ادعاء الدغامين، أن البحث في المصطلحات والمفردات القرآنية يقصد منها التعرف على المعاني المعجمية الدقيقة لها فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى استخلاص الدروس والحقائق القرآنية العامة.[36]

المنارة للاستشارات

4. الوحدة الموضوعية والمصطلح القرآني في الدراسات القرآنية المعاصرة.

وكان رواد المدرسة الأدبية الحديثة أول من عالجوا الوحدة ضمن دراساتهم للمفردة القرآنية؛ حيث رأى أمين الخولي أن اهتمام المفسر بالنظر في المفردات القرآنية، وملاحظة استعمالاتها اللغوية والقرآنية وسياقاتها التاريخية والنفسية _في إطار نظرة شاملة تحصر هذه الاستعمالات والسياقات ضمن الوحدة الموضوعية_ كل ذلك يضعه في المسار الصحيح لتفسير القرآن الكريم و دراسته دراسة أدبية كما قال في ذلك: «فجملة القول: أن التفسير اليوم – فيما فهمه – هو: الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف».[37]

كما حدد لنا معالم منهجه الأدبي في التفسير من خلال ما أسماه بالدراسة العامة والدراسة الخاصة حول القرآن [38]؛ هذه الأخيرة التي يبدأ المفسر _من خلالها – بدراسة مفردات القرآن في سياقاتها الإفرادية ثم التركيبية، لملاحظة التطور الدلالي الذي مس حياة الألفاظ، ولاستخراج اللمسات البيانية في استعمال القرآن لها.

ولا يمكن ذلك – في رأيه – إلا عن طريق الوصول إلى فهم وحدتها اللغوية، وقد أكد ذلك معيبا_ في آن واحد_ طريقة أصحاب المعاجم ونظرتهم التجزيئية (طريقة المقص والغراء كما قال) في قوله: «وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوي، انتقل بعده (أي المفسر) إلى معناها الاستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله، لينظر في ذلك،فيخرج منه برأي عن استعمالها: هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك، فما معانيها المتعددة التي استعملها فيها القرآن؟»[39]

وقد قدم في ذلك دراسات حول موضوعات المفردات القرآنية في سلسلة أسماها "من هدي القرآن" من أمثال موضوعات: رمضان في القرآن، السلام في القرآن، الفن والبيان في القرآن وغيرها.

المنارة للاستشارات

وتبعته في ذلك زوجته عائشة عبد الرحمان؛ التي عابت على أساتذة الجامعة تقصيرهم في جعل «النص القرآني موضوعا لدراسة منهجية» [40]، التي تبدأ – في نظرها – بفهم «مفردات القرآن وأساليبه، فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسراره في التعبير». [41]

و أكدت سلامة منهج زوجها حينما قالت عنه بأنه: «التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك». [42]

وقالت في تفسيرها البياني لقصار السور بأنها «ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية». [43]

فمن ذلك تناولها لأسلوب القسم في تفسير سورة الضحى، وبعد أن تتبعت مواضع القسم بحرف الواو في القرآن الكريم بقولها: «والذي اطمأنت إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو» [44]، توصلت إلى استنباط معنى جامع لها ولأمثالها هو وحدتها اللغوية العامة.

قالت في ذلك: «وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى نجدها تأتي لافتة إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود، توطئة ببانية لصورة أخرى معنوية مماثلة، غير مشهودة ولا مدركة يماري فيها من يماري؛ فالقرآن الكريم في قسمه بالصبح إذا أسفر، وإذا تنفس، والنهار إذا تجلى ... يجلو معاني من الحق والهدى ... بماديات من النور والظلمة، وهذا البيان المعنوي بالحسي،هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو ...». [45]

وكان صلاح عبد الفتاح الخالدي ممن درس الوحدة الموضوعية للمصطلح القرآني، لكنه لم يشر إلى المنهجية التفصيلية في استخراجها، إلا ما أشار إلى دور السياق في ذلك.

ففي المرحلة السادسة من مراحل البحث الموضوعي في المصطلح القرآني يقول: «ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسق وتناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها، ومع الدرس الذي وردت فيه الآية، وذلك لبيان الوحدة الموضوعية للدرس». [46]

المنارة للاستشارات

كما حث الدارسين على ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح وربطه بآياته في القرآن الكريم، وتدبر هذه الآيات «لاستخلاص دلالاتها والالتفات إلى لطائفها واستنباط دروسها وعبرها، وتسجيل حقائقها». (47)

وأما عن النماذج التطبيقية فعرض لبحث أحمد حسن فرحات لمصطلح "الأمة في القرآن الكريم" باشتقاقاته وصيغه الصرفية والنحوية، عارضا لمفهومه في القرآن الكريم، ثم لمفهومه العربي، ثم قال عن صنيعه في ذلك:«إن كتاب الدكتور أحمد حسن فرحات "الأمة في دلالتها العربية والقرآنية" هو خير مثال للتفسير الموضوعي للمصطلح القرآني». (48)

كما قدم بعض الدراسات في هذا المجال؛ كبحثه عن مصطلح التأويل والتفسير في القرآن الكريم؛ إذ بعد استقراء مواردهما في القرآن الكريم توصل إلى المعنى الجامع الخاص بكل مصطلح في مفهوم القرآن له، فقال عن التأويل مثلا: «وقد لاحظنا أن التأويل في كل سورة من هذه السور السبع ورد نحو سياق خاص، وأن التأويل في هذه السور كلها بمعنى واحد وهو: بيان العاقبة، وتحديد المآل، وإيجاد المطلوب، وفعل الأمر، وتحقيق الخير». (49)

كما درس –أيضا– مصطلح "جهل" في القرآن الكريم، استنتج في خلاصة بحثه الوحدة الموضوعية له صرفا ووضعا، ومعاني واقعية للجاهلية وعلاج القرآن الكريم لها. (50)

5. تعقيب ومناقشة:

الوحدة الموضوعية قضية ثابتة في القرآن الكريم، هذا قدر أدنى متفق عليه بين أغلب الدارسين المعاصرين، خاصة ما تعلق بالموضوع القرآني؛ والذي تتحقق وحدته العامة بعد جمع آياته كاملة في نصوص القرآن الكريم، وملاحظة الغاية الكبرى التي تشد إليها عناصرها الفرعية بعد ارتباطها فيما بينها ربطا محكما.

ولم يختلف الدارسون المعاصرون حولها إلا في بعض التحديدات المنهجية في دراستها واستنباطها، وهذا لا يخدش في حقيقتها وثبوتها في القرآن الكريم، وهو أمارة نسبية هذه الأفهام

المنارة للاستشارات
ww

البشرية في مقارباتها الاجتهادية لفهم النص القرآني؛ وإنما الذي لم يكن واضحا من ذلك ما يتعلق بالوحدة الموضوعية للمصطلح القرآني؛ إذ يبدو أنها لم تؤصل كل جوانبها التنظيرية المنهجية عند أمين الخولي والتطبيقية المنهجية عند صلاح عبد الفتاح الخالدي.

فالأول منهما لم يخرج عن دائرة التصاريف الاشتقاقية والمعجمية للفظة القرآنية في سياقاتها اللغوية والتاريخية، وذلك لملاحظة التطور الدلالي الذي مس حياة الألفاظ، ولفهم وجوه الإعجاز البيانية والنفسية لها؛ فالوحدة الموضوعية التي يتحدث عنها أمين الخولي وزوجه بنت الشاطئ هي وحدة لغوية معجمية دلالية قد خلت في كثير من الأحيان عن وضوح المعاني الهدائية والمواقف القرآنية في علاجاتها التربوية وتصوراتها النظرية لأبعاد ذلك المصطلح الواقعية.

و هذا ليس غريبا عنهما؛ إذ لم يهتما إلا بما أسمياه بالدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، فالقرآن في نظرهما كتاب العربية الأكبر فقط، وجميع الدراسات القرآنية يجب أن تسعى إلى تحقيق هذه الغاية فقط.

وهذا ما عابه زياد الدغامين عليهما حينما بيّن أن المقصود من التفسير الموضوعي –في منهج هذه المدرسة الأدبية– هو «التعرف بجلاء على المعاني الدقيقة لمفردات القرآن من خلال الاستعمال القرآني لها». (51)

وإنما حقيقة التفسير الموضوعي للوحدة المصطلحية هو في الكشف عن عناصرها، وبيان الصلات التي تربط بين تلك العناصر ومعرفة الغرض القرآني من هلال حقائقه ومواقعه النظرية الواقعية، ودراسة ذلك على ضوء منهج واقعي شمولي كما قال زياد الدغامين. (52)

ثم إن بعض ألفاظ القرآن الكريم لا يمكن الوصول إلى وحدتها العامة وذلك لقلة استعمالها في القرآن الكريم، فلم تذكر بعضها إلا مرة أو مرتين، وهذا ما لم يوضحه أمين الخولي ؛ بل إن الملاحظ على بعض دراساته التطبيقية أنه خرج عن السياق القرآني إلى سياقات أخرى

المنارة للاستشارات

بنيوية وواقعية، لأن اللفظة التي درسها لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، كدراسته للفظة رمضان في القرآن الكريم.

كما أنهما —الخولي وبنت الشاطئ– قد أخلّا في كثير من الأحيان بمنهج الاستقصاء والحصر فيتتبع اللفظة القرآنية في ورودها في القرآن الكريم، وهما اللذان حرصا على ضبط الدراسات القرآنية الموضوعية بهذا القيد المنهجي، وقد رأينا ذلك –مثلا– في دراسة عائشة عبد الرحمان للقسم في القرآن في تفسيرها لصدر سورة الضحى؛ فلم تستقرئ كل ألفاظ القسم في القرآن الكريم، بل أكتفت بدراسة بعض المواضع القرآنية المفتتحة بحرف الواو القسمي، وصرحت بأهمية أن تفرد دراسة كاملة للقسم في القرآن الكريم، وهذا ما لم تفعله.

إن الدراسات الأدبية للألفاظ القرآنية –عندهما– أحرى أن تدرج ضمن علم الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر، كما صرح بذلك عبد الحي الفرماوي ؛ ذلك أنها قد ابتعدت عن الدراسات الموضوعية للوحدة المصطلحية من حيث الغاية والهدف ومن حيث منهجية البحث فيها،وهذا أيضا ما وقع فيه صلاح عبد الفتاح الخالدي، الذي لم يشر إلى المنهجية التفصيلية في استخراجها، إلا ما أشار إلى دور السياق في ذلك.

كما أن نظرتة للوحدة الموضوعية للمصطلح القرآني قد طغت عليها التجزيئية في كثير من الأحيان؛ حينما ربطها بالسياق الإفرادي لا الشمولي لتلك اللفظة في تقابلاتها الاشتقاقية في نصوص القرآن الكريم؛ إذ لم يبين لطائفها اللغوية والهدائية إلا من خلال السياق الموضعي أو التاريخي لها فقط، دون التناسب والارتباط فيما بينهما_على الأقل_ ليرتبها وفق عناصر منطقية وواقعية لمفاهيم تلك الصيغ الاشتقاقية للفظة القرآنية، ولكنه عكس الأمر، فاكتفى بدراسة اللطائف الهدائية لكل صيغة اشتقاقية في سياقاتها الجزئية داخل السورة القرآنية، ولم يضع منهجية كاملة في دراسة وجوه التناسبات بينها ولمس الوحدة العامة في القوانين الهدائية القرآنية المستنبطة من ذلك إلا بعض الإشارات العامة كما في دراسة لمصطلح "جهل" في القرآن، أو لمصطلح "التأويل" و"الإيمان" وغيرها.

المنارة للاستشارات

6. خاتمة: حيث يمكن تسجيل أهم النتائج والتوصيات في النقاط الآتية:

أ. المصطلح القرآني بنية لفظية مستعملة في نصوص القرآن المتنوعة باشتقاقات كثيرة ترجع في أصلها إلى جذرها الثلاثي من الحروف الأصول، التي تفيد معان لغوية جامعة وثابتة لها، ثم تتوسع إلى معان أخرى دلالية لمشتقات تلك الجذور؛ إما عن طريق الوضع الثاني لتلك الألفاظ ومجازاتها الكثيرة، وإما عن طريق استعمالات جديدة في سياقات مغايرة لاستعمالاتها الأولى، ثم هي تفيد معان هدائية ترتبط بمقصد القرآن الكريم في دعوة الناس إلى اعتناق الدين الحق الذي نزل به، وما على الدارس إلا جمع تلك التصاريف المتنوعة للمصطلح بنظرة كلية شمولية.

ب ـ على قدر الاختيار الشمولي للمصطلح القرآني تتضح الرؤية العلمية للموضوع ، ولكن لا يعني هذا أن في ذلك نزولا بالتفسير الموضوعي له إلى مستوى جزئي هو المستوى اللفظي، أو صعودا بالألفاظ لتضارع الدراسة الموضوعية،بل إن الباحث في المصطلح القرآني يهمه بدرجة أكبر المعاني الهدائية القرآنية في ظلال دراسة تلك المفردة القرآنية، وأما الموضوع القرآني فيتجاوز ذلك إلى الألفاظ المترادفة أو المتضادة معا، ثم إن دراسة المصطلح القرآني لا تخلو من ملاحظة اللطائف البيانية في استعماله في نصوص القرآن الكريم؛ أي: التركيز على الإعجاز البياني للمفردات القرآنية كما نادت بذلك المدرسة الأدبية المعاصرة.

ج ـ يؤدي حسن الاختيار للمصطلح القرآني، ودقة استعمالاته السياقية إلى الكشف عن النظرية القرآنية الجامعة بين النظرة اللغوية والرؤية الهدائية، كما يبرز الوحدة الموضوعية لمشتقات ذلك المصطلح الموزعة في نصوص القرآن الكريم فيما بينها؛ وكأنها كلمة واحدة أنزلت في زمن واحد، وفي ذلك مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني في استعمال ألفاظه وعلاج موضوعاتها.

د ـ إن البحث السليم عن استعمال القرآن الكريم لمصطلحاته ينضبط برؤية كلية، ويتحقق بمنهجية شاملة تجمع بين الدراسة اللغوية لتلك المصطلحات ـ تحديدا لجذرها الثلاثي ومعانيها اللغوية في المعاجم العربية ـ والدراسة القرآنية لها ـ قواعد علم المناسبات ومنهج التفسير الموضوعي

المنارة للاستشارات

. والدراسة الواقعية مقررات علوم الإنسان والكون والحياة تنزيلا لمعاني المصطلح الهدائية على واقع الناس . تحقيقا لغاية الكشف عن النظرية القرآنية والوحدة الموضوعية لها.

هـ . وأخيرا فإن البحث هنا يوصي بضرورة استكمال أدوات المنهج في اختيار المصطلحات القرآنية؛ من حيث استحضار الرؤية الكلية أثناء الاختيار، والجمع بين معطيات الدراسات السياقية والنسقية لها وفق معطيات علوم اللغة والتفسير الموضوعي والعلوم الإنسانية ترتيبا تصاعديا، والانتباه إلى المقاصد الهدائية العامة للقرآن الكريم أثناء الكشف عن النظرية القرآنية والوحدة الموضوعية، والتخلي عن النظرة التجزيئية أو قراءة التعضية لهذه الأدوات المنهجية؛ إذ أن القاعدة السليمة تقرر أن المنهج السليم يؤدي إلى المفهوم الصحيح للمصطلحات.

وعلى أقسام اللغة العربية والشريعة الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى العلمية برمجة هذه الدراسات المصطلحية في دواوينها المعرفية، كي تنطلق منها في تطوير علومها ومعارفها النظرية والتطبيقية، فهي مهمة في البحث الأكاديمي والدرس الجامعي.

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش:

([1])–الكومي أحمد السيد وزميله،(1402هـ)، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د.ن، ط1، ، ص18 .

([2])–الفرماوي عبد الحي(2005م): البداية في التفسير الموضوعي، ، د.م، ط7،ص 40.

([3])–عبد الرحيم عبد الجليل(1992م): التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان، د.ن، عمان، ط1،، 30/1.

([4])–العمري أحمد جمال(1986م): دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ، ص70، 72

([5])–رحماني أحمد(1998م): التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا ، منشورات جامعة باتنة، الجزائر ، ص 43.

([6])–الغزالي محمد(د.ت): نحو تفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، منشورات بغدادي، الجزائر ، ص 04.

([7])–الغزالي محمد (2003م): تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهرة، ط5، ص128 وما بعدها.

([8])–سعيد عبد الستار فتح الله(1991م): المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط2، ص 24.

([9])–المصدر نفسه، ص57_58 .

([10])–المصدر نفسه، ص25.

([11])–المصدر نفسه، ص26.

([12])–المصدر نفسه، ص60.

([13])–وذلك في لقاء لي معه في مكتبه الخاص بعين شمس بالقاهرة بتاريخ: 2006/06/20.

([14])–الدغامين زياد خليل محمد (1995م): منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، ص 14.

([15])–كصنيع عائشة عبد الرحمان في كتابها " الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"،دار المعارف،القاهرة،ط3،ص 210.

([16])–الدغامين زياد خليل محمد: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص 14–15 بتصرف.

([17])–المرجع نفسه، ص 15.

([18])–المرجع نفسه، ص 15.

([19])–سعيد عبد الستار فتح الله: المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 26.

([20])–عبد الرحمان عائشة: التفسير البياني في القرآن الكريم، دار المعارف، ط7، ص 17–18. والخولي أمين (1982م): التفسير نشأته، تدرجه، تطوره، ، دار الكتاب للبناني، بيروت، ط1، ص 92 وما بعدها.

([21])–مسلم مصطفى(1997م): مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط2، ص 23 وما بعدها.

([22])–اللوح عبد السلام حمدان (2004م): وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، مقال بمجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ص 65_66.

([23])–عباس عباس عوض الله (2007م): محاضرات في التفسير الموضوعي، دار الفكر، دمشق، ط1، ص 27.

([24])–الخالدي صلاح عبد الفتاح(2008م): التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،دار النفائس، الأردن،ط2، ص 59.

([25])–المرجع نفسه، ص 59.

([26])–المرجع نفسه، ص 72.

المنارة للاستشارات

([27])–كدراسته عن الجهل والجاهلون، المرجع نفسه، ص 97، ودراسته المستقلة «التفسير والتأويل»، و «الإيمان والإسلام».

([28])–الدغامين زياد خليل محمّد: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص 15.

([29])–الخالدي صلاح عبد الفتاح: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 59.

([30])–مسلم مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 26.

([31])–الدغامين زياد خليل محمّد: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص 15.

([32])–الخالدي صلاح عبد الفتاح: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 62.

([33])–مسلم مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 37.

([34])–الخالدي صلاح عبد الفتاح: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 72.

([35])–المرجع نفسه، ص 72–79 بتصرف.

([36])–الدغامين زياد خليل محمّد: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص 14.

([37])–الخولي أمين(1982م). التفسير: نشأته – تدرجه – تطوره –، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط 4، ص 79.

([38])–المصدر نفسه، ص 85.

([39])–المصدر نفسه، ص 95.

([40])–عبد الرحمن عائشة: التفسير البياني للقرآن الكريم، ، ط، دار المعارف، ط 5، 15/1.

([41])–المصدر نفسه، 17/1.

([42])–المصدر نفسه، 17/1.

([43])–المصدر نفسه، 18/1.

([44])–المصدر نفسه، 25/1..

([45])–المصدر نفسه، 25/1–26.

([46])–الخالدي صلاح عبد الفتاح: التفسير الموضوعي النظرية والتطبيق، ص 75.

([47])–المرجع نفسه، ص 76.

([48])–المرجع نفسه، ص 61.

([49])–الخالدي صلاح عبد الفتاح(1996م): التفسير والتأويل في القرآن، ط دار النفائس، ص 201.

([50])–يراجع: الخالدي صلاح عبد الفتاح: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 196، 199.

([51])–الدغامين زياد خليل محمّد: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، ص 14.

([52])–المرجع نفسه، ص 18.

المنارة للاستشارات